وَخْزٌ

«قد يكونُ هذا العالَمُ جحيمَ عالَم آخر»
«الدوس هكسلي»

كان الحشد منشغلا بالركض في كافة الاتجاهات ، والتدافع لاحتلال مقعد شاغرٍ من مقاعد (الميكروباص) حين ظهر وجههُ بغتةً كأنما انشقَّت الأرضُ عنه .
يحمل على كتفيه عناء أربعة عشر أو خمسة عشر من الأعوام المُضنية بينما عيناهُ تهطلان بشدةٍ وتلملمُ يداهُ الناحلتان حافَتَيِ الرداءِ المُلقى على جسده بعفوية فيكاد يكشف عن عورته لولا بعض غرز يديوية غير متقنه كل هذا كان يعطيه عمراً أقل بكثير من عمره ازداد تكاثفهم عند الباب وتشابك أقدامهم وأرجلهم وابتذال سبابهم لبعضهم البعض وأُيقنت أَنْ ليس ثمة فرصة لي للصعود وأنَّ عليَّ اقتناصُ فرصةٍ أخرى في (الميكروباص) القادمِ.
تراجعتُ للوراء قليلا وأنا أحاول الهرب من كلماتهم النابية فرأيتُهُ واقفاً بجانب الشرطي الذي راح يجادله ويعنِّفُهُ ويهدده بحركة حازمة من يديه . حين واجهتُ الشرطِيَّ تأكدتُ من إحكام غلق أزرار ردائي العلوية ..
_وحادثت نفسي قائلة : دائما هم رجال الشرطة – هكذا يتجنون على المحرومين الضعفاء في وضح النهار ويتركون هؤلاء الذين يسرقون قوتنا كل ساعةٍ .. ؟؟
تراجعتُ للوراء أكثر وببطءٍ فسمعتُ الشرطيَّ يضحك ضحكاتٍ غير موارِبة ثم يهمسُ له قائلا : إن كان على قسمة الحق فأنا لي الحق في النصف .. أنا من يتركك ترتعُ في هذا المكان بمفردِكَ ، وتجني كلَّ تلك الأموال ، وأنا من يَحُوْلُ بينَك وبينهم لإيداعك الحبس ..!!
نكَّسَ الفتى رأسَهُ ومضى لا ينطق بكلمة وقد تحسَّسَ شيئاً داخل ملابسه ثم تفرق الاثنان كلٌّ في اتجاهٍ .
لم تمضِ لحظاتٌ إلا وقد مرق الفتى مرة أخرى وسط الزحامِ وراح يسأل بصوت شجيٍّ وأنينٍ ودموعٍ لزجةٍ تهطلُ بغزارةٍ .. !
أحسستُ حين أمعنتُ تأمُّلَهُ كأنما يخلع وجها ويرتدي وجها، يزيح عن جسده جلدا

ويخيّئُ جلدا بينما بعض الثآليل المنتشرة في رأسه تستوقفني لأمعن النظر فيها كثيرا..
كان كلما سأل أحدَهم ينظر إلى حالِه ودموعِه فيعطيه..
حتى جاء عندي ووقف أمامي سائلا ومستعطفا أن أعطيه ثمنا لكِسْرَةِ خبز فهو جائع جدا ولم يأكل شيئا منذ يومين
راح يساومني عن الجنة والستر ورضا الله بينما كنت في حيرة منه وفي حيرة من ترددي : هل أعطيه أم لا ؟؟ ازداد إلحاحُهُ فازدادتْ حيرتي ثم أجبته : يعطيك الله.
أخيرا جاء (ميكروباص) وبعده آخر فذهبتُ مسرعةً إلى الثاني وقد استطعت بالكاد أن أحجز لنفسي مقعداً.
لم تمضِ لحظات وأنا جالسة إلا وقد أحسستُ بوخزٍ حاد يؤلمني وحين التفتُّ وجدتُهُ جالسا إلى جواري وفي يديه مُدْيَةٌ جديدةٌ ولامعةٌ يغرزها في جنبي
ودون أن تتلاقى أعيننا أومأَ لي بالصَّمْتِ فصمتُ ، أومأ لي بالعطاء فأعطيتُه كلَّ ما معي من نقود
كنت أعاند انهمارَ دموعي وتزايدَ خفق قلبي بينما الكل مشغولون تماما عني بالصعود واحتلال المقاعد
ظل جالساً والمُدْيَةُ في جنبي بينما أومأ للسائق بألا يدع أحدا يجلس بجانبي ثم أعطاه ثمنَ تذكرتين..!
عند أول تقاطع نزل وقد أوصى السائقَ مراراً عليَّ ثم راح يشيرلي مودِّعَا ، فأشرتُ له خائفةً وأنا أغالب دموعي التي بدأَتْ تتساقطُ . كنت أحاول أن أتمالك نفسي بينما وجهُ الشرطيُّ الضاحكُ يأتيني من بعيد عبرزجاج النوافذ المَّسِخِ والمشروخِ في إحدى زواياه ووخزُ المُدْيَةِ مازال يؤلمُ ظهري بشدة و بينما كنت أطيلَ النظرَ إلى يدِ الشرطي قفزتْ إلى ذاكرتي أشياءُ أخرى كنت قد نسيتُها تماما وحسبتُ أنها قد سقطتْ بالتقادُمِ من ذاكرتي .